فريق موقع الآجري للتفريغ

سلسلة تفريغات "الثالثة"

(٢٧)

شَرحُ

كِتَــابِ الكَبَـــائِرِ وَتَبْيِينِ الْمَحَارِمِ

تَأْلِيف

الْحَافِظِ أَبِي عَبْدِاللهِ مُحَمَّدِ بنِ أَحْمَدَ بنِ عُثْمَانَ بنِ قَايمَازَ الذَّهَبِيّ

٦٦٣-٧٤٨ هـ

لفضيلة الشيخ

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

الكَبِيرَةُ الخَامِسَةُ والعِشْرُون: قَاتِل نَفْسِهِ وهِيَ مِنْ أَعْظَمِ الكَبَائِر

النسخة الإلكترونية الأولى

www.ajurry.com

[أشرطة مفرغة]

بسم الله الرّحمـٰن الرحيم

[المتن]

الكَبِيرَةُ الخَامِسَةَ والعِشْرُون

قَاتِلُ نَفْسِهِ وهِيَ مِنْ أَعْظَمِ الكَبَائِر

قَالَ اللهُ –تَعَالَى–: ﴿وَلَا تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (٢٩) وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللّهِ يَسِيرًا (٣٠) إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيمًا (٣١)﴾[النساء:٢٩-٣١].

[الشرح]

ثم ذكر هـٰذه الكبيرة (قَاتِلُ نَفْسِهِ) وهو ما يسمّى في زماننا بالانتحار، وقاتل النّفس سواء قتلها بسكين أو أغرق نفسه أو رمى نفسه من شاهق أو أحرق نفسه أو بأي طريقة كانت فهو مرتكب لكبيرة هي من أعظم الكبائر وأشد الآثام.

وأورد المصنف قول الله –تعالى–: ﴿وَلَا تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾، قوله: ﴿لَا تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ﴾ هـٰذا هو الشاهد من الآية: قتل النفس، ﴿لَا تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ﴾: أي لا يقتل الإنسان نفسه، قال: ﴿إِنَّ اللّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ بل عليه أن يطلب رحمة الله ويسعى في تحصيلها ويستجلبها لنفسه.

قال: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا﴾ وهـٰذا فيه قيد قال: ﴿عُدْوَانًا وَظُلْمًا﴾، أمّا إذا وقع هذا خطأً أو عن غير تعمُّد أو عن غير قصد أو نحو ذلك فلا يكون شاملا له هـٰذا الحكم؛ لكن هذا فيمن يفعل هذا الأمر عدوانا وظلما قال: ﴿فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللّهِ يَسِيرًا﴾.

ثم قال: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ﴾ الإثم وهـٰذا وذكر هـٰذا في هـٰذا السياق دليل آخر ووجه آخر في الدّلالة على أن قتل النفس كبيرة من الكبائر.

[المتن]

وَقَال -تَعَالَى-: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ الآية [الفرقان:٦٨].

[الشرح]

الشاهد من الآية: ﴿وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾، ومن النّفوس التي حرّم الله قتلها: أن يقتل الإنسان نفسه، فالآية بعمومها دالةٌ على تحريم قتل الإنسان لنفسه.

[المتن]

وعَنْ جُنْدُبِ بنِ عَبْدِ اللهِ -رَضِيَ اللهُ تعالى عَنْهُ-، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ بِهِ جُرْحٌ فَجَزِعَ، فَأَخَذَ سِكِّينًا فَحَزَّ بِهَا يَدَهُ، فَمَا رَقَأَ الدَّمُ حَتَّى مَاتَ. قَالَ اللَّهُ -تَعَالَى-: بَادَرَنِي عَبْدِي بِنَفْسِهِ، حَرَّمْتُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

[الشرح]

وهـٰذا فيه دليل على أنّ قاتل نفسه مرتكب لكبيرة، قال: «حَرَّمْتُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ»، وفي الحديث الآخر: «أنّه في النّار» عقوبته أنه في النار، وهـٰذا رجل أصابه جرح فما تحمَّل؛ جزع، فحزّ يده بالسِّكين يعني وخزها بالسكين «فَمَا رَقَأَ الدَّمُ» يعني ما توقف إلى أن مات، فكان بذلك قاتلا لنفسه، فقال الله: «بَادَرَنِي عَبْدِي بِنَفْسِهِ أوجبت له النار أو: حَرَّمْتُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ».

[المتن]

وعَنْ أبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ تعالى عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَتَوَجَّأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِسُمٍّ فَسُمُّهُ فِي يَدِهِ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ يَتَرَدَّى فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

[الشرح]

ثم ذكر هـٰذا الحديث في عقوبة قاتل نفسه بأي طريقة كانت بالسمّ أو بالسِّكين أو بغير ذلك، وأن عقوبته النار خالدا مخلّدا فيها أبدا، والقول هنا كالقول الذي سبق معنا في قوله -تعالى-: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا﴾[النساء:٩٣] فهـٰذه عقوبته، وإذا وُجد مانع التوحيد

والإخلاص فإنّ مرتكب الكبيرة لا يكون في النّار خلوده أبد الآباد، وإنما يبقى فيها على قدر جرمه وعلى قدر ذنبه، ثم يخرج بالتّوحيد الذي هو مانع من موانع الخلود، كما أيضا يدل على هـٰذا قول الله –تعالى–: ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء﴾[النساء:١١٦]، وكما يدلّ أيضا عليه: «أخرِجوا من النّار من قال: لا إلـٰه إلّا الله وفي قلبه أدنى مثقال ذرّة من إيمان»، ونظائر ذلك من النصوص الواردة في الكتاب والسنة.

[المتن]

وفِي الصَّحِيحِ حَدِيثَ الَّذِي آلَمَتْهُ الجِرَاحُ فَاسْتَعْجَلَ المَوْتَ فَقَتَلَ نَفسَهُ بِذُبَابِ سَيْفِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: «هُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ».

رَوَى يَحْيَى بنِ أَبِي بُكَيْرٍ، عَنْ أَبِي قِلابَةَ، عَنْ ثَابِتِ بنِ الضَّحَاكِ، عَنِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَالَ: «لَعْنُ الْمُؤْمِنِ كَقَتْلِهِ، وَمَنْ قَذَفَ مُؤْمِنًا بِكُفْرٍ فَهُوَ كَقَاتِلِهِ، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ عذّبَهُ اللهُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

[الشرح]

الشاهد من الحديث آخره: «وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ عذّبَهُ اللهُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، وفي الحديث دلالة على خطورة لعن المؤمن، وسيأتي هـٰذا في كبيرة قادمة والقذف وسبق معنا في كبيرة ماضية.

❁❁❁❁